

لأجل المملكة لا فلسطين يا عشقي!

علي الصالح

من أراد التطبيع مع إسرائيل ونيل رضاها واللحاق بقطار شيمعون بيرس للشرق الأوسط الجديد.. فهو حر وليدُطْبَع كما يشاء، شرط إبقاء اسم فلسطين وقضيتها وشعبها بعيدا، مما تحملته على مدى قرن من الزمن لا يتحمله شعب آخر.. وما عادت تقبل أن ترتكب الفواحش والخطايا باسمها.

فكل ما شهدته المنطقة العربية منذ النكبة عام 1948 وحتى الآن يتم باسم فلسطين وشعبها وقضيتها..

وكما استغلوا اسم فلسطين في الانقلابات العسكرية في خمسينيات وستينيات وحتى سبعينيات القرن العشرين، يقحمونه مجددا في القرن الواحد والعشرين ويستخدمونه غطاء، وهم يلهثون وراء التطبيع مع دولة الاحتلال، ولا يتعلمون الدروس.

والحديث هنا عن «زيارة العار» التي قام بها الجنرال السعودي المتقاعد أنور عشقي لإسرائيل بتذكرة القضية الفلسطينية. وتأتي «زيارة العار» هذه لتعطي المصداقية لما يصرح به رئيس الوزراء الإسرائيلي بنiamin Netanyahu وتفاخره بما وصفه بالانقلاب الذي حققه في علاقات إسرائيل مع الدول العربية. فقد أصبحت إسرائيل تحظى بعلاقات رسمية وغير رسمية من المحيط إلى الخليج وبالعكس.

يقول الجنرال المتقاعد رئيس مركز الشرق الأوسط للدراسات الاستراتيجية في جدة إن زيارته لم تكن لإسرائيل، بل لفلسطين وتلبية لدعوة فلسطينية.. والأهم أن الغرض من هذه الزيارة حسب ادعائه هو الوقوف على أوضاع المعتقلين الفلسطينيين وأسر الشهداء، وإنه والوفد المرافق له اجتمعوا مع أسر شهداء «وواسيناهم وحضرنا حفل زفاف نجل مروان البرغوثي أحد المعتقلين ورمز القضية الفلسطينية».

كلام غث فيه استخفاف بعقل البشر، قضية أسرى فلسطين وشهادتها قديمة قدم القضية نفسها.. مما ذكر الجنرال بهم الآن؟ ولماذا لم يتذكرها عندما كان بإمكانه أن يصدر الأوامر لجنوده للتوجه نحو فلسطين لتحريرها وأسرها وقدسها؟ ولو جاء الجنرال عشقي للأسرى محررا لرفع له الفلسطينيون القبعات احتراما.. ولكن ان تستخدم هذه الورقة بهذه الطريقة فهو أمر مرفوض.

يتهم عشقي وهو صاحب الباع الطويل في مصافحة الإسرائيليين.. والمصور أصدق أنباء من الكلام.. الصحف

الإسرائيلية بتحويل الزيارة وهي بالمناسبة ليست الزيارة الأولى باعترافه، واعتبارها زيارة لإسرائيل لأنها تعتبر القدس إسرائيلية وهو يعتبرها فلسطينية وقضية إسلامية وعربية، وهذا كلام حق يراد به باطل.

حتى هذا التبرير كان يمكن استيعابه والقبول به لو اقتصرت زيارة الجنرال عشقى على مدن الضفة الغربية والقدس الشرقية المحتلة، ولقاء الفلسطينيين فقط، لكن الجنرال، قابل دروري غولد مثل نتنياهو، في فندق الملك داود في القدس الغربية.. فهل لا يعترف الجنرال عشقى بتقسيم القدس ويعتبرها بشقيها الشرقي المحتل منذ عام 1967 والغربي المحتل عام 1948 جزءا من دولة فلسطين؟ ولو كان الأمر كذلك لشددنا على يد الجنرال، و«فرشنا له الأرض رملة» كما يقول المصريون أو سحادا أحمر باللغة الدبلوماسية.

فكيف إذن يزعم أن الزيارة لفلسطين فقط وأنه لم يلتقي رسميا مع مسؤولين إسرائيليين؟ أليس، غولد مدير عام وزارة الخارجية الإسرائيلية شخصية رسمية ويحتل موقعها رسميا؟ أليس غولد هو صاحب المهام الصعبة التي يكلفه بها سيده الذي احتفظ بهذه الحقيقة لنفسه منذ فوزه في الانتخابات الأخيرة في مارس 2015. وهل يريد الجنرال أن يقنعنا بأن لقاء سوريا لم يتم بينه وبين نتنياهو؟ وهل يمكن أن يفوت نتنياهو مثل هذه الفرصة الذهبية التي سيؤكد من خلالها مصداقية ما يرددده منذ زمن حول الاختراقات التي حققها على صعيد الدول العربية؟ هل يريد الجنرال أن يقول إن لقاء غولد كان مجرد لقاء صديق مع صديق، والمعلومات تؤكد أن لقاءات عديدة عقدت بين الرجلين في السنوات الأخيرة في واشنطن وعواصم أوروبية، ربما ساعدت في توطيد العلاقة بينهما؟ وإذا كان الجنرال ووفده لا يحملان أي صفة رسمية فكيف يبرر لقاءه مع منسق نشاطات جيش الاحتلال في الضفة الغربية الميجر جنرال يؤاف مردخاي وما الغرض من هذا اللقاء؟

وإذا كان زيارته برئته فكيف يفسر لقاءه مع يائير لبيد رئيس حزب «يوجد مستقبل» الصهيوني؟ وما هو الغرض من لقاء عدد من أعضاء الكنيست الصهيوني والحديث عن إمكانية أن يقوم وفد برلماني بزيارة السعودية؟ هل هو إقناع نتنياهو وحكومته وهي الأكثر يمينية وعنصرية في تاريخ إسرائيل بمبادرة السلام العربية وهي الرافضة أصلاً لفكرة السلام والرافضة للمبادرة العربية بشكلها الحالي جملة وتفصيلاً. ولو كان الهدف كما نقلت عنه الصحف الإسرائيلية، هو إقناع الإسرائيليين بمبادرة العربية، وهي في الأصل مبادرة للملك عبد الله بن عبد العزيز أعدتها عندما كان وليا للعهد، إلى أن تبنتها قمة بيروت العربية عام 2002.

كيف يضمن الجنرال/ الدبلوماسي، أنه سينجح بما فشلت في تحقيقه منظمة التحرير الفلسطينية ومن ورائها الدول العربية بمبادرةها، والأمريكيون وال الأوروبيون؟ ولماذا جاء تحركه متأخراً أكثر من 14 عاماً على المبادرة؟ لماذا في هذا التوقيت بالذات؟ أليس بسبب التغيرات وال تحالفات الجديدة التي تشهد لها المنطقة العربية في ظل «الربيع العربي».

ألا تأتي هذه الزيارة المشؤومة في إطار الحل الإقليمي الذي دعا إليه نتنياهو، وتلقيه الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي، لضرب المبادرة الفرنسية في مقتل، وليخرج نتنياهو وحكومته من مأزقها. أليس الجنرال عشيقي هو من أشاد بنتنياهو وإمكانية التحالف معه لمواجهة إيران؟ إنها زيارة طبيعية اختبارية بامتياز.. وفلسطين ليست إلا الغطاء الذي وفره ويوفّر بعض المسؤولين الفلسطينيين الذين لعبوا دور الوسيط. والتوضيح الصادر عن وزارة الخارجية السعودية لم يتنصل من «خطيئة»، الجنرال وحتى لو افترضنا أن الزيارة مبادرة شخصية.. فمنذ متى كانت السعودية واحدة الديمocrاطية وحرية التعبير وتعدد الآراء السياسية والافكار؟ ومنذ متى يسمح للمواطن السعودي بالخروج عن الخطوط السياسة الرسمية العامة؟

لم يأت بيان وزارة الخارجية السعودية بمحتواه، إلا ليؤكد أن الزيارة لم تكن شخصية بل شبه رسمية.. فقط خلا البيان من أي إدانة لها أو حديث عن محاسبة القائمين عليها لمخالفتهم السياسة العامة.. وإذا كان هناك غرض فهو لإسكات المعارضين لهذه الزيارة. ويقول البيان «ردًا على بعض ما تداوله وسائل الإعلام فإن جمال خاشقي وهو إعلامي سعودي هاجم الزيارة، ونوفاف عبيد، دبلوماسي، وأنور عشيقي، ليس لهم علاقة بأي جهة رسمية ولا يعكسون وجهة نظر حكومة المملكة، وأن آرائهم تعبر عن وجهات نظرهم الشخصية».

وإذا كانت مثل هذه الزيارات غير طبيعية، كما يزعم عشيقي وغيره، فلماذا تفاخرتم شرقاً ووطنية ورفضتم أن يلعب المنتخب الوطني السعودي على أرض فلسطينية في تصفيات كأس آسيا؟ ألم يكن رفض التطبيع مع إسرائيل مبرركم؟

وأذكر فقط بما قاله المعلق الرياضي السعودي وليد الفراج في قناة «إم بي سي آشن» الرياضية السعودية في ديسمبر الماضي، الذي أقحم نفسه في السياسة فهاجم الفلسطينيين، وخصوصاً رئيس اتحاد الكرة الفلسطيني الرجوب، الذي تصدر الدفاع عن زيارة عشيقي المشؤومة وتبريرها، وقال إنها جاءت تلبية لدعوة فلسطينية وإن لقاءاته مع الإسرائيليين هي لتأكيد الموقف من التطبيع. فقد وصف الفراج الرجوب في حينها بـ«رجل المخابرات الذي يريد جر السعودية للتطبيع مع إسرائيل». وأعد فيديو كليب حول لقاءاته مع الإسرائيليين وتصريحاته السياسية أو الرياضية مدموجة بمسرحيات وأفلام مصرية ساخرة.

وهذا يتركنا لنا تفسيراً واحداً لهذه الزيارة غير المرحب بها، وهو التطبيع التدريجي التدريجي على جرعات.. بمعنى تعويد الناس تدريجياً على المور الصادمة لهذا المسؤول أو ذاك، وهو يصافح مسؤولين إسرائيليين في الخارج قبل أن تنقل المصالحات واللقاءات إلى إسرائيل. هذا ما فعله عشيقي وما يفعله أيضاً تركي الفيصل رئيس المخابرات السعودية الأسبق، فيعد تعوييد الناس على رؤية عشيقي وهو يصافح غولدمان ساير ويتوافق مردحه وغيرهم من المسؤولين الإسرائيليين، ومرور اللقاءات والمصالحات بسلام ومن دون صحة كبيرة.. انتقل الخطوة التالية وهي لقاء المسؤولين في إسرائيل لتتحقق بها لقاءات رسمية وربما

تكون ردود الفعل أقل وطأة.

وأختتم ان هذه الزيارات واللقاءات والمصافحات ونشر الصور التي تجمع بين مسؤولين عرب ساقيين وحاضرين، ليست الا محاولة لكسر التابو وتخفي المحرمات وتعويد عيون المشاهدين عليها لتصبح أمراً مألوفاً ومقبولاً لما هو مقبل وهو اعظم.. استبدال هذه الشخصيات التي تزعم بان ما تقوم به ليس الا مبادرات شخصية وفردية لا علاقة بـأـنـظـمـةـ بلدـهـاـ ، بشخصيات رسمية.. بالضبط كما حصل مع الفضائيات العربية التي كانت تعتبر استضافة المسؤولين الاسرائيليين من المحرمات فيها ، ورويداً رويداً أصبحت استضافة

أمراً عادياً ومقبولاً.

* كاتب فلسطيني من أسرة «القدس العربي»